

تأليف / الدكتور كاوس قفطان
ترجمة / عبدالستار كاظم

قصة على ضفة نبع

- ليس في الحياة اسوا من ان تهب كل طاقتك وجهدك، كل تفكيرك وآمالك في سبيل شيء ولكن عندما يحين وقت القطاف لن تمسك بيدك الا الفراغ ولا شيء غير الفراغ.

جذب حسرة ومسح بمعصمه عرق جبينه وقال:

- بعد اربع سنوات من الفراق رايتها، ليتني لم اراها، لم تكن تلك الفتاة التي كانت قبل اربع سنوات، انها اليوم فتاة تقطر حسناً وبهاءً، متفتحة كورد الربيع، تسلب الالباب وتختطف القلوب، جسم ممشوق ممتلئ معتدل، كان حسننها يجتذب المرء كوردة متفتحة تجتذب الفراشات، عيناها الخضراوان الواسعتان المشعتان، بسهم واحد تجرح قلب الف شاب، شفاتها اللتان ليستا بالرقيقتين ولاهما بالغليظتين لم تخلقا الا للرشف والقبل، صفان من الاسنان اللؤلؤية مع وجنتين بيضاوين مشربتين بالحمرة كأنهما صفحتا تفاحة حمراء وبينهما انف أشم معتدل قدر تقديرأ خاصاً ولم يكن ارق وانعم من اناملها وكفئها. عدت ذات يوم وولجت الغرفة رأساً احسب ان ليس فيها احد، ما ان رفعت بصري حتى تسمرت في مكاني، رايت فتاة غضة ظننتها حورية، ارادت ان تخفي نفسها عني ولكن عندما نادوني باسمي، هشت بوجهي وسالكتني عن احوالي، لم ادر كيف وبماذا اجبت.. جلست قبالتها، بعد ان عرفتها، وكنت احدث نفسي قائلاً:
- احقاً انها تلك الفتاة الصغيرة التي كنت واياها نلعب قبل اربع سنوات عندما كانوا يستضيفوننا او نستضيفهم؟
كنت سارحاً في خيالاتي عندما صحت على صوت تلك

كنت وإياه جالسين على ضفة نبع صاف ينحدر ماؤه سلساً هادئاً ليجد سبيله بين الصخور والحصى الى الاحراش والاشجار المحيطة به. كان الوقت عصراً، لم يبق من الشمس الا قطعة صغيرة هي الاخرى تكاد تختفي وراء قمة الجبل، ترسل شعاعاً احمرأ مائلاً الى الصفرة ينتشر فوق الاشجار.

كنت اضع يداي تحت حنكي انظر الى الماء بهدوء اصيخ السمع لما يقول. وبعد ان القى علي نظرة خفض رأسه واخذ عوداً يداعب به الماء وكأنه يريد ان يستخرج من الماء كلماته، او يقلب دفترأ يقرأ فيه تاريخ حياته وقال:

- تسألني: لماذا استحلث هكذا؟

وهملت ان اتكلم الا انه قاطعني قائلاً:

- دعني اصف لك شكلي لأنني تمنعت فيه بالمرأة كثيراً. عينا غائرتان محروقتا الاهداب، انف محترق به عوج، فم كبير مشروم، صف من الاسنان السود المتحورة، وجه عبوس منكمش تتلاطم فيه الندب والفجوات.

سحب العود من الماء ورماه بحدة وقال:

- لا داعي لان تحاول تعزيتي، لا تكذبني القول، لا تغير لي صورتي الحقيقية، لا.. اعرف انني بمنتهى القبح، يفرع الاطفال مني، ولكن، هل كنت كذلك؟ اتدري لماذا صرت هكذا؟ لربما تشناق كثيراً في ان احدثك عما جرى لي! او بالاحرى انني راغب في ذلك اذ ان الحديث كماء بارد يسكب على فورة آلامي وعذابتي.. قال ذلك واتكأ على احدى يديه وطرده باليد الاخرى بعوضة وقال:

الفتاة التي تدعى (شرمن) تقول لي:

- في اي صف انت الآن؟

قلت:

- في الصف الثالث.

كنت ارفع اليها بصرى وانظر اليها، وعندما تراني لا اغض الطرف عنها تحني راسها ويحمر وجهها.

كان الوقت متأخراً، نهضت تريد الذهاب، كم كنت اود ان تعود عقارب الساعة الى الوراء لكي تظل جالسة لاشبع منها ناظري.

«هنا توقف هنيهة، رفع الى راسه وبعد ان تحسر بعمق

قال:

- «مبً بعد ان اخذت معها قلبي، ضيّرت النهار عندي كذلك العينين اللتين لم اكن ادري ما النهار الا عندما رأيتهما.

وقعت في شرك الهوى. الطريق الذي لم انفك دوماً من سلوكه كان الطريق الذي يمر امام دارها. كم حاولت ان الهج البيت ولكني لم اجرؤ خجلاً. اراها تبتسم لي عندما التقى بها احياناً، وعلى نغمات الابتسامة تلك كان قلبي الحَدُّ يخفق ويضطرب، بقيت على تلك الحال مدة من الزمن معتقداً بانها تحبني هي ايضاً، وكنت اعلم نفسي قائلًا:

- لماذا تضطرب لرؤيتي؟ تلوها الحمرة؟ ولكن من ذا الذي يجيب على استلتي تلك؟.

جاءت الينا ذات يوم بصحبة احدى صديقاتها، فما ان راتني حتى علت شفيتها ابتسامة وقالت:

- لماذا لاتمر بنا؟ لماذا؟ أتستحي؟

لم ادر ماذا حل بي، لم اصدق انها تقول لي مثل ذاك القول، لم ادر لماذا كانت تلك الابتسامة عندي محبة وبهذا الجمال؟!

كلما انفجرت تلك الشفاه حسبت ان الجنة فتحت لي ابوابها. كل ابتسامة من ابتساماتها تجعلني اعتقد انها تحبني ولكني كنت اكذب نفسي، كنت احادث الفتاة التي معها والتفت اليها احياناً فاراها تدير عني وجهها عابسة، عندها تحقق لدي انها حقاً تحبني، غرقت في بحر الخيالات، ومنذ تلك اللحظة بدأت اهي آلاف العبارات المنمقة التي سألقيها على مسامعها، وفي تلك اللحظة نهضت وقالت:

- ان الوقت متأخر، اذا لم يكن من الصعب عليك، اوصلني الى البيت.

- صعب؟ كان ذلك عندي منتهى العجب. ولوج النار ليس صعباً اذا كان من اجلها! وكم تمنيت ان تسنح الظروف ان

نختلي الى بعضنا. في الطريق رُمت محادثتها ولكن عبثاً حاولت فلم ألهم عبارة واحدة من تلك العبارات الجميلة التي نمقتها في ذهني لكي اقولها لها. تطايرت كلها كدخان في السماء وذابت.

قالت بهمس:

- كنت اليوم فرح القلب. اطنبت في الكلام.

لم استطع اجابتها لانني كنت ابحث عن عبارة حلوة فلم اجد.. فالتفتت الي عابسة تقول:

- لم لا تجيبني؟

قلت بلسان متعثر:

جواب ماذا؟ كنت مسرور القلب لانه:

قالت بلهفة:

- لانه ماذا؟

لم افهم لماذا أقفل فمي فلم استطع نطقاً. كنت اعرف انها تريد ان اقول لها حقيقة مشاعري، فبدلاً من ان اقول: لانني احبك قلت:

- لان قلبي سعيد!

في تلك اللحظة وصلّت الى البيت، فودعتني بوجه عبوس ودخلت البيت، تركتني وانا صريع افكار ملوها العذاب والالام، شتمت نفسي ولساني الذي صار ابكماً.

وفي الليل استمر جسمي كمن اضطجع على حجر، لم يغمض لي جفن حتى الصباح، قررت ان اذهب في ذلك اليوم اليها فوراً واكشف لها عن مكنونات صدري، ولهذا بدأت مجددا اهي العبارات والجمل..

«نفس ثانية وقال بصوت غضوب ووجه عبوس مواصلا حديثه:» عندما اصبح الصباح ذهبت رأساً اليهم وكان من في البيت مشغولاً بالاعمال المنزلية، لهذا بقينا وحدنا، انا صامت وهي تمسك بكتاب تقرأ فيه، اطبقت الكتاب فجأة وقالت:

- اي كتاب تمتد اليه يدك يتحدث عن الحب!

وفي تلك اللحظة وقعت يدي على يدها صدفة، حسبت ان نيران الدنيا كلها سرت الى جسدي، اردت رفع يدي عن يدها ولكن لما رأيت انها لم تسحب يدها عدلت عن ذلك وهنا تفتحت قريحتي فجأة فقلت:

- لان الحب ضروري للانسان فما دام هو يعيش بقلبه وذاك القلب ينبض فالحب سيقى.

صمتت لحظة، ثم ادارت لي وجهها على حين غرة وقالت:

- هل احببت قط؟

فاجبت بحرارة:

- قبل الآن، لا... اما الآن فاني احب واحدة. ولكن اني احب!! انه اشبه بنار تستعر في قلبي.

فسألتني بهمس:

- استطيع ان تسميها لي!

- اخشى، ان يسبك ذلك.

- لا تخشى شيئاً، انني مثلك لي فؤاد ينبض.

عندما استمعت الى تلك العبارة العذبة التي صرحت بها تلك الشفاه حسبت نفسي مخلوقاً آخر. شعرت وكأنني اطيروا في السماء واذهب الى مكان ما، عند نبع تتدلى اغصان الاشجار حوله من كل الجهات، والقمر يطل خجلاً من خلفها كأنه فتاة غصة ازاحت عن وجهها غلايتها، يرسل خيطاً من نور وعلى النبع فيتلالا ما فيه من حصي ورمال وحورية تجلس الى جوارني تضع رأسها على صدري، تهمس في اذني اعذب الحان الحب، حسبت نفسي انني ذلك الانسان، لذلك قلت على عجل:

- نعم... يا شرمين... انا اهوى واحدة، تلك هي انت. لم تنطق بحرف، سوى انها سحبت يدها من تحت يدي برقة، ولكنني لم ابال بذلك وقلت بحماس.

- اجل اهواك ولا تؤاخذيني... لا... ان حبك طبر جعل من قلبي عشاً له، منذ ذلك اليوم الذي رأيتك فيه وسهام عينيك نشبت في قلبي، مهما حاولت لم استطع اخراجها، مذ ان رأيتك بذرة حبك قد بذرت بقلبي وها هي الآن قد اثمرت، احببتك وسأظل اهواك حتى آخر نسمة من حياتي. اهدى اليك رسالة قلبي فاستلمتها، كان قلبي صحراء قاحلة قبل ان اراك. ولكنه الآن مزدان بورود حبك، كان قلبي بادية عطشى، لكننا الآن لحبك في كل زاوية منها عين جارية تروىها، باب القلب فتح مرة واحدة فوجدتني انت وانقلق وليس الى الخروج منه من سبيل. لم اكن اعرف الحب قبل ان اراك، انت التي عزفت انغام الحب في اذني، انت كاس الحب الذي انسكب على شفتي، اهواك بصدق وطهر، صدقيني... وهنا توقفت لا لاني صرت شاعراً وقلت الكثير، بل لاني احسست ان يداً ناعمة وضعت على كتفي وبصوت رخيم تقول:

- انا مثلك..

تمنيت عندئذ ان انام هناك ولا استيقظ...
بقينا سوية لفترة اخرى وعقدنا العهد.

«هنا سكنت، ومسح رأسه بيده كأنه يريد ان يستعيد ذكرياته،

عصر يديه بحلة وقال:

كان حبي صادقاً طاهراً، لم يكن ليصرفني عن الدراسة، لربما على العكس كان يدفعني ان اواصل الاجتهاد ليل نهار، لاني كنت اعلم انه لا يمكنني الوصول اليها ما لم اكن ذا شأن، اكملت الاعدادية، بدأت اهوي نفسي للذهاب الى بغداد، آه، كم كانت تلك الامنية علي صعبة، كنت اخال اني اذهب للجحيم، لم اكن ادري كيف يمكن ان احيا تلك المدة الطويلة بعيداً عنها.

لم تنقطع الرسائل بيننا طيلة تلك السنوات، كانت تخمني ان اقرأ وان لا اتخلف كي نستطيع بلوغ امانينا. انهيته الدراسة، كنت من الفرحة كمن ولد من جديد وان الدنيا ملك يميني. اريد ان اضحك، ارقص، اجري، لم لا؟ لماذا لا اخطب تلك الفتاة الليلة، انها امل حياتي! لم اكن لاصدق ان قد ازف اليوم الموعود، ولكنها الحقيقة، فقد ذهب اهلي لخطبتها، لم يقر لي قرار، انتقل من مكان الى آخر، لم امكث في موضع ما ساعة، ثم قررت ان اعود الى البيت عسى الله ان يكون الاهل قد عادوا... شاهدت الناس في الطريق يتراكمون فتبعتهم، وفجأة رأيت الناس مجتمعين امام دار (شرمن). تسمرت في مكاني، قف شعري، الصراخ يتعالى في اذاني انقلبوها لم تبق الا هي. بلا وعي اقتربت من احدهم وسألت:

- ماذا حدث؟

- ماذا حدث؟! أنت اعمى، الا تبصر البيت تضطرم النيران به، ها انه يحترق، ولم يبق الا ابنتهم (شرمن)... انقلبوها!

كان يحدثني والنار يعلو لهيبها في الدار بحيث تراجع كل من كان بالقرب منها. جن جنوني لما رأيت ذلك... ألبقى في قيد الحياة وقلبي يحترق وامل المستقبل يشوى امام عيني؟! يجب ان اقتسم معها آلام الاحترق، فاما ان نحترق سوياً واما ان انقلبها. اندفعت نحو سلم وتناولته واعتليت سطح منزل مجاور ومنه الى صحن دارهم، وكان قلبي يرشدني الى الطريق، انجذبت رأساً الى احدى الغرف واثقاً الى انها هناك، وعندها سمعت صرخة هجمت على الباب وكانت موصدة كسرتها بركلة واحدة ومن خلل الدخان لاح لي شبح، ناديتها، سمعتها تقول بصوت مختنق:

- أهذا انت؟ انا هنا..

لا ادري كيف اهتديت اليها وكيف اختطفتها وحملتها، عندما خرجت كان الطريق مقطوعاً، لم استطع ان اعلى سطح دار الجيران، ليس لي الا الطريق الوحيد الذي هو باب الدار وكان قطعة من نار، انجذبت صوبه مضطراً، رأيت هناك بطانية او

مقطوعات شعورية ..

شعر: لطيف هلمت.
ترجمة: بنيامين يوخنا دانيال.

الحوث ..

كل الناس يموتون
بعضهم بالداء،
وبعضهم الآخر من الوجَل.
بعضهم بحوادث سير،
وبعضهم الآخر من الفرح.
بعضهم بالجوع،
وبعضهم الآخر ببيضان.
بعضهم بطلقة نارية،
وبعضهم الآخر في غيب السجن.
بعضهم في الرعدة،
بعضهم الآخر بالسُم.
أما أنا
فالذي يقتلني هو هواك
أيها الوطن..!

الأجمدة ..

لقد آبت كل الأنجم
المهالجة،
وحطت على زجاج
الشبابيك،
و وكزت
بأستثناء نجمتي.
أين أبحث ؟
أية أحراش ؟
أية قرى ؟
أية رواحي ؟
و أية طرق ؟
أخشى أن تضيع نجمتي
كما ضاعت أمي !!

الشاعر ..

أصغْتُ سمعي للمياه:
كانت تَرنُّمُ للضفاف.
أصغْتُ سمعي للأطيار:
كانت تغرد للشرح.
أصغْتُ سمعي للشرح:
كانت تغني للربيع.
أصغْتُ سمعي للربيع:
كان يشدو للشاعر.
وحين يممْتُ وجهي شطر الشاعر،
السيئة يذوب
قطرة
تلقو قطرة،
ويصيرُ ناراً..!

خيالي على رأسي . فهمت ان المرأة تريد الجمال، ايقضت ان
(شرمن) تنفر مني، تلك التي افيت من اجلها شرخ شبابي لا
ترضى بي، لا تعيرني اهتماماً . . عندها قررت ان اهمم على
وجهي ، جئت لهذه القرية كفلاح احث الارض لكي ادفن فيها
آلامي ومتاعبي ، اجل . . دفنت وانا على قيد الحياة نعش آمالي
في مقبرة الاماني . .

هنا سكت ورفع رأسه ، كان الدمع يتدفق من عينيه كماء
النبي ، قطرة فقطرة ، ينحدر ليتجمع في ثنايا وجهه المتفرض .
وضعت يدي على كتفه وقلت مسلياً :
ربما تجد الكثير من الفتيات من لا وفاء لهن ، ولكن لا
يشرط في الرجل جمال الصورة ، انما جمال السريرة وحسن
الاخلاق . .

صحيح انك لست جميلاً ولكن لك قلب يهد لك
الطريق .
هز رأسه بتؤدة وقال :
فليكن كذلك . .

من كتاب / بعيداً عن الجحيم

بنصف خطوة . وباذن من المؤلف

سجادة . . لا اذكرك . كلما اذكره انني غمرته في ماء الحوض
وغطيتها به ورميت نفسي في النار، فوجدت نفسي خارج الدار،
اما بعد ذلك لا ادري ماذا جرى . . لا اذكرك . . لانني سقطت
على وجهي . وما افقت الا وانا في المستشفى ، فرأيت اللغائف
تلف جسمي كله . شفيت بعد شهرين ، ولكن ليتني لم اشف ،
ليتني لم ارجع الحياة ثانية . عندما شاهدت وجهي في المرأة لم
اصدق اذ لم اتعرف على نفسي ، لم اعد ذلك الشاب الجميل
الانيق ، بل مسخت بهذا الوحش الذي تراه . النار احترقت
جسمي ويدي وشوّهت وجهي ، اكلت جسمي ولكن لماذا لم
تأكل روحي ايضاً لتفقدني من هذه الحياة . . كان الشيء الوحيد
الذي يسليني هو ان كنت اقول : : انني من اجل (شرمن) صرت
بهذه الحال ، ما اطيب ذلك ! انها لا تبالي بالوجه ان كان جميلاً او
محرقاً ، انها تحبني وترضى بي وهذا يكفي . .

بعد مدة ارسلت من يخطبها لي ، كان والداها راضين ،
ولكن . . (شرمن) لم ترض ، اظلمت الدنيا في عيني ارسلت لها
رسائل ، لم تجبني ، حاولت ان اراها ولكنها كانت تخفي نفسها
عني ، اقسمت عليها بحبنا ، بما انا فيه من محنة ، بتفاني في
سبيلها ، طلبت اليها ان ترضى بي ، ولكنها لم تستمع اليّ ، لم تشأ
ان تتزوج رجلاً تفرغ منه ، تقوضت على القصور التي بنيتها في